مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها،
فصلية محكمة، العدد ٣٠، ربيع ١٣٩٣ هـ.ش/
٢٠١٤ م؛ صص ١-١٨

مآخذ على الجوانب اللغوية في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة

علي أكبر فراتي*

*- أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة طهران

a.forati@ut.ac.ir

تاريخ استلام البحث: ١٣٩٢/٠٤/١٨ تاريخ قبول البحث: ١٣٩٢/١٠/١٥

ملخّص:

لما تصفحنا شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة، ونظرنا فيه من الناحية اللغوية بوجه الدقة تبيّن لنا أنّ الشارح قد أقام شرحَه على أساسٍ من الشرح اللغوي.

و لما كان النقد المنصف البنّاء صوتًا للغة وحصنًا لها تجاه كل ما يمكن أن يصيبها في مسار تطورها مع الزمان من الخطأ والزلّة، وبما أن ابن أبي الحديد كغيره من المصنفين والعلماء قد يخطئ أحياناً في فهمه اللغوي ولا سيما أنه اجتهد في شرحه للمفردات ولم يتعرض لتفسيرها كالناقل المقلد البحت، فقد قام كاتب هذه السطور بدراسة شرحه اللغوي، ووجّه إليه بعض الملاحظات وانتقد آراءه اللغوية في شرح مفردات نهج البلاغة، وأشار إلى الأخطاء اللغوية الناجمة عن عدة أمور، منها عدم العناية بمتن اللغة والسياق والعقائد الكلامية والفروق اللغوية والقواعد الصرفية والنحوية، وقد أشار إلى أقوال بعض العلماء في نقد الشارح منهم العلامة اللغوي مصطفى جواد والعلامة الناقد التستري صاحب بهج الصباغة، وقد أفاد من نقدهما، إلى جانب الاستناد إلى المعاجم اللغوية وكتب الأدب والنحو، هذا وقدحاول أن لاينسى أثناء نقده لابن أبي الحديد اضطلاع الشارح في كثير من العلوم المتشعبة.

الكلمات الرئيسيّة: نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، الشرح اللغوي، النقد، الأخطاء اللغوية.

١. المقدمة

رأينا من الأنسب أن نخصّ دراستنا هذه بالنقد اللغوي الموجّه إلى ابن أبي الحديد كي نفتح به باب نقد آرائه- في اللغة كانت أم في مضامير أُخرى - و نصحّح به قولاً يكاد يسود بين بعض المتأخرين مفاده أن كل ما قاله مَن سبقنا فلا بدّ أن يكون صحيحاً، فيما أن النقد المنصف البنّاء صونٌ للغة وحصنٌ لها قبالة كل ما يمكن أن يصيبها في مسار تطورها مع الزمان من الخطأ والزلّة، ولنعتقد أن الكتاب الوحيد الذي لا ريب فيه ولا لغو أو خطأ به هو كتاب الله العلي القدير وابن أبي الحديد كغيره من المصنفين والعلماء قد يخطئ في بعض الأحيان.

Archive of SID
www.SID.ir

فلما أمعنّا النظر في شرح ابن أبي الحديد للمفردات بدا لنا بعض عثرات منه في تفسير الألفاظ و المفردات اللغوية، منها ما يرجع إلى عدم شرحه لبعض الألفاظ وما فاته بيانه ومنها ما يعود إلى وقوعه في تفسير بعض البديهيات والأهم من هذا و ذاک ما ألمّ به من الخبط والغلط في بيان اللغة على حسب ما اعتمد عليه الشارح في الشرح اللغوي من المعاجم اللغوية والسياق وما إليهما راجين ألا نكون باعتراضنا عليه في بعض القضايا اللغوية التي أثارها متعدّين أطوارنا متغافلين أقدارَنا، ومكانتُه في العلم والأدب ليست بخافية علينا، وكل من نظر في شرحه للنهج وغيره من الكتب ليجده عالما مجتهدا ناقدا نفاذا في بواطن كثير من الفنون منها اللغة وليس مقلدا ينقل ويقبل[1]، و قد عمدنا إلى إبداء ما بدا لنا في شرحه اللغوي من الأوهام والأخطاء ولتحطيم هذا الحصن المزيف الذي شيده حوله البعض، حتى تكاد آراؤه لا تنقض برأي وإنما يستند إليها في تفنيد الآراء الأخرى.

على أن النقد الذي يوجّه إليه من قبل بعض الباحثين لا يقلّل من شأنه ومنزلة كتابه وإنما ليستصلح بالنقد من الهنات التي لا بأس عليه منها في تأليف عظيم عرضه في سبيل خدمة العلم والدين، فقلّة قليلة هم الذين يبرأون من النقص والتقصير أو الهفوات أحياناً وما أصدق بشار في قوله:

كفَى المرءَ نبلاً أن تُعَدَّ معايِبُهْ (بشار بن برد، ٢٠٠٧، ج١: ٣٢٦) و لا يفوتنا أن نذكر أننا إنما التمسنا بعض أخطاء الشارح في تفسيره لمفردات ألفاظ النهج ولم نَنُهْ بشيء في نقد نثره وقلمه ولم يخطر ببالنا أن نقوم به، إذ لم نرَ شأنا لنا لهذا العمل ولم نعثر على من تجرأ أن يجري قلمه في نقده بين العلماء.[2] إن كاتب هذه السطور قد تصفح وقرأ شرح ابن ابي الحديد قراءة المتدبر المستأني وأتى عليه غير مرة و هذه الأوراق المتواضعة لم تكتب عن استقراء ناقص أو تصفح عابر في بعض مجلداته بل تم قراءة كل الشرح واخترنا بعض ما يمكن أن يؤخذ عليه مما لا شك فيه ولا يقبل التبرير، ورتّبنا المآخذ اللغوية على الشارح، على أساس بعض العناصر الهامة في فهم اللغة.

١-١. خلفية البحث

هناك من تناول مختلف آراء ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة بالنقد والتعريض ومنها آراءه اللغوية

١. للمزيد ينظر: "النقد اللغوي في شرح ابن ابي الحديد لنهج البلاغة"، د.محمد حسن فؤاديان وعلي اكبر الفراتي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية في جامعة طهران، العدد ٥٩.

٢. بل ونرى نصه أو نقله عمن سبقه مصدرا استشهد به الكبار من أهمهم الأستاذ الدكتور مصطفى جواد في مقالاته المجموعة في كتاب، اسمه: في التراث اللغوي.

Archive of SID
www.SID.ir

التي نقصدها في هذه العجالة، فممن عارضه في تبيان معنى لفظات النهج وأخذ عليه بعض زلّاته اللغوية: ١. العلامة محمد تقي التستري في شرحه بهج الصباغة؛ ٢. الدكتور مصطفى جواد في بعض دراساته الأدبية التي طبعت تحت عنوان في التراث اللغوي؛ ٣. العلامة ميرزا حبيب الله الخوئي في شرحه منهاج البراعة. ٤.و قد درس كاتب هذه السطور شرح ابن ابي الحديد من الناحية اللغوية وغيراللغوية في بعض المقالات المنشورة في المجلات المحكّمة منها: أ) "النقد اللغوي في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة" ب) "روش لغوي ابن أبي الحديد در شرح نهج البلاغه" ج) "المصادر اللغوية عند ابن أبي الحديد" د) "آسيب شناسي روايات ابن ابي الحديد درباره امام حسين(ع) در شرح نهج البلاغة" هـ) "آيين سخنوري در دستور سخن نهج البلاغة بر پايه شرح ابن ابي الحديد" ولم نعثر على عمل لغوي، نقديا كان أم غير نقدي. يقوم على شرح ابن ابي الحديد غير ما ذكرنا فهذا بحث لم يسبق له مثيل.

إن أهم ما عمد إلى نقد آراء ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة هو «بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة» للعلامة الكبير الشارح محمد تقي التستري (ره) الرجالي المحدث الناقد الكبير المعاصر، فقد انتقده نقداً علمياً موضوعياً وصبّ عليه نقده وابلاً وخاصة في مجال اللغة و تفسير المفردات كما يستَشف ما قلناه في مقدمة التستري على شرحه: «وإن ادّعى أنه تاريخي أدبيّ إلا أن فيه معائب» (التستري، ١٤١٨، ج ١: ص٢٤) ويعتبر إفراطه في نقل التاريخ من معايبه وفي الأدب أيضاً يقول: «كما أنه في الأدب كذلك قد يفرط وقد يفرّط، بل ينقل كثيراً لا ربط له أصلا» (*المصدر نفسه*) وينسب إليه أوهاماً كثيرة ويورد فيها شواهد ثم يصرّح بأن «له تفسيرات باطلة كما ستقف عليها في المطاوي كراراً، وهو وإن نقل في شرحه أشياء حسنة وذكر فيه أموراً مهمة، إلا أنه لم يراع المناسبة في الغالب.» (*المصدر نفسه*: ص ٢٥)، وإنا لما تصفحنا شرح العلامة التستري للمسنا كثيراً مما وجّه نقده إلى عزالدين ابن أبيالحديد المدائني في فهم اللغة إلى جانب ما أفاد من شرح الشارح المعتزلي واخترنا بعضاً من انتقاداته في اللغة أثناء تخطئتنا له مما يجيء نقلا عنه، ونكتفي من بين العلماء الذين أخذوا على الشارح المدائني في فهم اللغة بما سنذكر من شواهد نقد العالم التستري له في اللغة ومقدار نقده اللغوي لابن ابي الحديد كثير جداً، وما نورده هنا كغيض من فيض. و ليست مؤاخذات التستري لابن أبيالحديد كلها صائبة ومن الطبيعي أن كثرة النقد عند العلامة التستري لاتكاد تسلم من الهفوات، ولا ننوي دراسة مدى صحتها وتمحيصها في هذه العجالة.

و تمهيدا للبحث نعرض لمحة من حياة الشارح المعتزلي.

١–٢. ابن أبي الحديد؛ سيرته وآثاره

هو أبوحامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، عز الدين المدائني

www.SID.ir

المعتزلي، العلامة الفقيه والكاتب المترسل والشاعر المجيد والمتكلم الجدليّ، أحد جهابذة العلماء وعباقرة المؤرخين في العصر العباسي الرابع، عصر ازدهار العلم والأدب.

ولد بالمدائن في غرّة ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١: مقدمة التحقيق، ص١٢) و على بعض الأقوال سنة ٥٩٠هـ (الكتبي، د.ت، ج١: ص١٨٩)، ونشأ فيها وتلقّى عن شيوخها (ابن ابي الحديد، *المصدر نفسه*) وقد حُكم عليه بالقتل أثناء هجوم هولاكو على بغداد عام ٦٥٥ هـ ، وعلى رأي الكتبي ٦٥٦هـ (الكتبي، *المصدر نفسه*)، ولكنه نجا من الموت بشفاعة ابن العلقمي، ووساطة الخواجة نصيرالدين الطوسي، غيرأنه توفي بعد أمد قصير في بغداد. (فكرت، ١٤١٦، ج٢: ص٣٠١)، له تصانيف عديدة من أهمها: شرح نهج البلاغة؛ الفلك الدائر على المثل السائر؛ نظم «فصيح» ثعلب؛ القصائد السبع العلويات وما إلى ذلك في الكلام والأدب والشعر وعلوم اللغة والفقه والأصول.

أما في عقيدته ومذهبه فيبدو من الكتب التاريخية أنه درس المذاهب الكلامية في المدائن مسقط رأسه، وكان الغالب على أهلها التشيع، فسار في دربهم بداية، ونظم القصائد المعروفة بالعلويات السبع على طريقتهم (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١: مقدمة التحقيق، ص ١٣)، وعلى هذا فقد عدّه بعض المؤرخين شيعياً غالياً، منهم ابن الكثير، حيث وصفه بالكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي. (ابن كثير، ١٤٢٤: ص ٢٣٥).[١]

و الآن نخوض في صلب البحث لامحين إلى بعض ما اعتور شرح ابن أبي الحديد من الهنات التي رأيناها على شرحه اللغوي مرتبة على حسب الأسباب الناجمة عنها تلك الأخطاء:

٢. بعض مواضع أخطاء الشارح في تفسير مفردات نهج البلاغة

هناك مواضع اعترت الشارح عثرات في بيان ألفاظ النهج، وهي تنمّ عن عدم دقته أحيانا في عناصر فهم اللغة مما يسبّب الخطأ في تفسير المفردات، منها ما تأتي شواهده:

٢-١. متن اللغة

١- قال الشارح في قوله (عليه السلام) حيث يصف موقع النبي(ص): «كلما نسخ الله الخلق فرقتين

١. للتوسع في حياة الشارح ومذهبه ينظر: مقالة "المصادر اللغوية لابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة"، علي اكبر الفراتي، د. السيد محمد مهدي الجعفري، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها(فصلية محكّمة)، العدد٩، ربيع وصيف ١٣٨٧هـ ش.

Archive of SID
www.SID.ir

جعله في خيرهما» (الرضي، ١٤٠٧: خ ٢٠٧): «النسخ: النقل، ومنه نسخ الكتاب، ومنه نَسَخَت الريحُ آثار القوم ونسخت الشمس الظل...» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١١: ص ٥٢)، وإلقاء نظرة على المصادر اللغوية التي عوّل عليها الشارح عند إيراد المعاني .كمجمل اللغة وغيره من كتب القدماء اللغوية . يكشف لنا أنه قد ارتكب هفوة في تقرير بعض المعاني، منه ما قال في شرح لفظة "النسخ" إذ يرادفه بالنقل ويمثل له بأمثلة سبق ذكرها، هذا وقال ابن فارس في المجمل عند هذه المادة: «النسخ: نسخ الكتاب: والنَسخُ: أن تزيل أمراً كان من قبلُ يعمَلُ به ثم تنسخه بحادث غيره كالآية تنزيل بأمرثم تُنْسَخ بأخرى وكل شيء خلف شيئاً فقد انتسخه يقال: انتسختِ الشمسُ الظلَ والشيبُ الشبابَ و.... ومنه نسخ الكتاب» (ابن فارس، ١٤١٤: ص٦٩٧) هذا ابن فارس وأما الخليل وهو أعرف من أن يعرّف ومكانته في اللغة أظهر من نار على علم فيقول في "العين" في مادة النسخ ما لفظه: «والنسخ: إزالتك أمراً كان يعْمَلُ به، ثم تنسخه بحادث غيره و...». (خليل بن أحمد، ١٤١٤، ج٣: ص١٧٨٤)

ويأتي بعبارات تكاد تتحد بما أورده ابن فارس، كذا ونرى في مفردات القرآن للراغب . وهو أسبق من الشارح زمناً ومن أهم مصادره في اللغة كتاب مجمل اللغة لابن فارس . إذ يقول في مادة «النسخ»: «النسخ إزالة شيء بشيء يتعقّبه، كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب» ثم قال: «وتارة يفهم منه الإزالة وتارة يفهم منه الإثبات وتارة يفهم منه الأمران» (الراغب الاصفهاني، ١٤٢٧: ص٨٠١)

فالأصل في معنى النسخ هو الإزالة و"النقل" الذي ذكره شارحنا في معنى "النسخ" إنما يسعه القسم الثاني من المعاني المذكورة في المفردات وهو الإثبات كما قال الراغب في كتابه: «ونسخ الكتاب نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر وذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى بل يقتضي إثبات مثلها في مادة أخرى...» (*المصدر نفسه*) بيد أن المعنى الأصلي للنسخ هو «إزالة شيء كان يعمل به واستبداله بأمر آخر» وإن كان باستطاعتنا أن نأخذ من هذا المعنى الأصلي معنى آخر هو "النقل".

٢- قد أورد الشارح في تفسير لفظة "الشحشح" من غريب قوله (عليه السلام): «هذا الخطيب الشحشح» (نهج‌الابلاغة، ١٤٠٧: الحكمة ٢٥٩) عدة معان لم يفضِ أيّ منها بالمخاطب إلى مغزى ما أراد الإمام من استخدام هذه الكلمة في كلامه وأما قول ابن أبي الحديد فلفظه ما يلي: «قد جاء الشحشح بمعنى الغَيور والشحشح بمعنى الشجاع والشحشح بمعنى المواظب على الشيء الملازم له والشحشح الحاوي، ومثله الشحشحان» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١٩: ص٩٠) أما ما يؤخذ عليه فإن المجمل قد جاء بهذا الاستعمال نفسه في شأن الخطيب بما لفظه: «الشحشح: المواظب على الشيء الماضي فيه، حتى يقال للماضي في خطبته شحشح» (ابن فارس، ١٤١٤: ص٣٨٠)، ثم قد تعرض لسائر معاني هذه اللفظة

Archive of SID
www.SID.ir

من الشجاع والغيور وغيرهما مما لا معنى لذكره هنا، وقد ورد أيضاً في العين لخليل بن أحمد ما يقارب قول المجمل ويضاهيه إذ قال: «يقال للخطيب الماهر في خطبته الماضي فيها شحشح». (خليل بن أحمد، ١٤١٤، ج ٢: ص٨٩٣) والظاهر أن الأفضل أن يأتي ابن أبي‌الحديد هذا المعنى المراد من الشحشح ويعرض عن ذكر سائر معانيه بيد أنه فعل العكس بالتحديد، فجاء بمعانيه الأخرى ولم يشِرْ قطّ إلى معنى اللفظ في الكلام وهو الماهر من الخطباء الماضي في الخطبة.

٣- والآخر ما قال في لفظة "المحاسن" من قول الرضي في المقدمة:«فأجمعت... على الابتداء بمحاسن الخطب، ثم...» (نهج‌البلاغة، ١٤٠٧: خطبة الرضي)، وهاك لفظ الشارح: «و المحاسن: جمع حَسَن، على غير قياس، كما قالوا: الملامح والمذاكر، ومثله المقابح.» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٤، ج١: ص٧١) فيمكن الردّ على ما تفضل به الشارح بأن المستشفّ من كتب اللغة في هذه المفردة يشهد بسقم ما قاله العلامة ابن أبي الحديد من أن المحاسن جمع حَسَن .كما أثبته المصحح . بل نجد ابن منظور يقول: «الحُسن: ضد القبح ونقيضه. الأزهري : الحُسن نعت لما حسن...» (ابن منظور، ١٤٢٦، ج١: ص ١٣٨٨) وينقل الشارح عن الجوهري أن جمعه محاسن على غير قياس غير أن الجوهري قال في الصحاح: «الحُسن: نقيض القبح، والجمع محاسن على غير قياس، كأنه جمع مَحسن» (الجوهري، ١٤٠٤، ج ٥: ص٢٠٩٩)

و لو افترضنا أن قوله في «أن المحاسن جمع حَسَن» صحيح، فليس بإمكاننا أن نعتبر صحيحاً ما جاء به كنموذج يؤيد قوله في الجمع على غير القياس: «كما قالوا: الملامح والمذاكر ومثله المقابح.» فإذا نظرنا في المذاكر وتأملنا فيه رأينا أن هذه اللفظة بهذه الهيئة لم ترد في كتاب من كتب اللغة التي بين أيدينا، ففي اللسان وهو جامع التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة والنهاية وحاشية الصحاح، قال ابن منظور في "ذَكَر" ما لفظه: «و الذَكَر معروف والجمع ذُكور ومذاكير على غير قياس كأنهم فرّقوا بين الذَكَر الذي هو الفحل وبين الذكر الذي هو العضو، وقال الأخفش: هو من الجمع الذي ليس له واحد مثل العباديد والأبابيل وفي التهذيب: وجمعه الذِكارَة ومن أجله سيمي مايليه المذاكير ولايفرد...» (ابن منظور، ١٤٢٦، ج١: ص١٣٨٨)

و في القاموس قال الفيروز آبادي: «والذَكَر: العضو ج: ذُكور ومذاكير.» (الفيروز آبادي، ١٤٢٥: ص ٣٥٨) فيعلَم مما تقدم من أقوال اللغويين أن ابن أبي الحديد قد خلط المذاكر بالمذاكير، ذلك أننا لم نجد في أيّ معجم لفظة "المذاكر" قط وإنما وردت "المذاكير" وهي جمع "الذَكَر" والأرجح أن مراد الشارح هذا الوزن أيْ «فَعَل، كي يتناسب وما تمثل له وهو «الحَسَن وجمعه محاسن على غير القياس». وأما الملامح والمقابح فيدور عليهما القول كما دارحول ما سبق، إلا أن أصل ما قاله الشارح من أن المحاسن جمع لفظة ـ أياً كانت اللفظة ـ على غير قياس وليس بجمع لمحْسَن»، صحيحٌ لا خدشة فيه ولا يخالفه أيّ معجم

Archive of SID
www.SID.ir

لغوي وإنما قد أخطأ المولف في التطبيق وإيراد النماذج، كما وليس من المستغرب عندنا أن يكون الخطأ قد نجم عن المصحح في إعراب الحُسْن بالحَسَن.

٤- وقال ابن أبي الحديد معترضاً على قول الشريف الرضي (ره) في تفسير مفردة «القزع» أنها قطع الغيم التي لا ماء فيها (نهج‌البلاغة، ١٤٠٧: الحكمة٢٥٨) ما لفظه: «لا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء بل القزع قطع من السحاب رقيقة سواء كان فيها ماء أو لم يكن، الواحدة قزعة بالفتح و...» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١٩ : ص٨٩)

و أخذ عليه العلامة التستري قوله في هذا الاشتراط وقال: «ثم كما لا يشترط في القزع أن تكون قطعاً من السحاب بلا ماء كما قال المصنف لا يشترط فيها أن تكون قطعاً رقيقة كما قال ابن أبي الحديد، وإنما غرّه قول الجوهري وهو وهمٌ من الجوهري، فلم يقل ذلك غيره بل أطلقوا،...» (التستري، ١٤١٨، ج ٦: ص٢٠١) وأردف قوله هذا بشواهد مؤيدة لرأيه وانتقاده.

٥- قال ابن أبي الحديد في شرح قوله (عليه السلام): «ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة» (نهج‌البلاغة، ١٤٠٧: الحكمة١٩٨): «الاستعانة هنا الفوز والظفر، كانوا يقولون للقامر يفوز قدحه (قد جرى ابنا عيان) وهما خطان يخطان في الأرض يزجر بهما الطير واستعان الإنسان إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١٩: ص١٧) فخطّأ قوله الشارح التستري وأكثر في تخطئته قائلاً: «قلت: ما قاله غلط في غلط، فانه استند إلى قول "الصحاح": "ابنا عيان خطان يخطان في الأرض يزجر بهما الطير، وإذا علم أن القامر يفوز قدحه قيل جرى ابنا عيان".

فالاستعانة لو فرض وجوده في كلامه، هل هي إلّا بمعنى الاستعانة في قوله تعالى: ﴿ ... **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، لا بمعنى مصطلح عند القامرين في الجاهلية، مع أنّ "الصحاح" إنّما قال: "وإذا علم القامر بفوز قدحه قيل جرى ابناعيان"، لا كما قال ابن أبي الحديد: استعان الإنسان، إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة. مع أنّه أيّ ربط للاستعانة بمثل "ابناعيان" والاستعانة من العون، وابناعيان من العين وبينهما بون؛ ذكر "الصحاح" و"القاموس" الأوّل في الأوّل والثاني في الثاني، وقد عرفت كلام "الصحاح"، وفي "القاموس": ابناعيان .ككتاب . طائران أو خطان يخطهما العائف في الأرض، ثم يقول ابناعيان أسرعا البيان وإذا علم...، مع أنّك قد عرفت أنّ أصل الاستعانه تصحيف من المصنّف.» (التستري، ١٤١٨، ج ٩: ص٥٤١و٥٤٠)

٦- ومما أخذها التستري على الشارح المدائني قوله عند شرح «وشقّ عطفاي» من الخطبة الشقشقية (نهج‌البلاغة، ١٤٠٧:خ ٣) حيث قال: ابن أبي الحديد: «أيْ: خدش جانباي لشدة الاصطكاك معهم والزحام» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١: ص١٩٤) فردّ عليه صاحب بهج الصباغة بما لفظه: «قلت: بل

Archive of SID
www.SID.ir

المعنى شقّ جانبا لباسي وهو تعبير عرفي، ولا وجه لإرادة خدش البدن من شقّه» (التستري، ١٤١٨، ج ٥: ص٢٢٩)

٧- والنقد اللغوي الآخر الذي وجهه الشارح التستري إلى الشارح المدائني يتعلق بكلمة «السوء» في قوله (عليه السلام): "و لا مضروباً على عروقي بسوء" فنقل كلام ابن أبي الحديد ثم حمل عليه بما يلي لفظه:«و قال ابن أبي الحديد: "بسوء" أي: ولا أبرص، والعرب تكنّي عن البرص بالسوء، ومن أمثالهم "ما أنكرك من سوء" أي: ليس إنكاري لك عن برص حدث بك فغير صورتك، وأراد "بعروقه" أعضاءه. (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج ١١: ص٦٦و٦٥)

قلت: ما ذكره كلّه غلط وخبط، فلم يقل أحد أنّ السوء كناية عن البرص عند العرب، وإنّما الآية ﴿بيضاء من غير سوء﴾ كناية عن عدم البرص، كما أن قول أميرالمؤمنين عليه السلام لأنس لما أنكر تذكّره لقول النبيّ صلى الله عليه وآله في غدير خم «إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة» كناية عن البرص. كما أن تفسيره للمَثَل "ما أنكرك من سوء" بما قال، تفسير ركيك، فهذا الجوهري قال: معنى المثل أنه لم يكن إنكاري إياك من سوء رأيته بك وإنّما هو لقلّة المعروفة. وقال الميداني: يعني ليس إنكاري إياك عن سوء بك لكنّي لا أثبتك، كما أن قوله: أراد بعروقه أعضاءه أيضاً غلط، فالمراد بالعروق الأعصاب، وإنّما حمله على تأويله أنّ البرص يحدث في الأعضاء لا العروق.» (التستري، ١٤١٨، ج ٧: ص ٩ و٨)

٢-٢. السياق و الجو العام للكلام

رأينا لزاماً علينا قبل أن نسوق الحديث عن السياق و دوره في الاجتهاد في اكتناه معنى الألفاظ في النص الادبي، أن نذكّر بأن السياق قرينة تفضي العناية بها بالدارس إلى معنى أعمق و أدّق و أقرب إلى مراد الخطيب أو الكاتب، و للنص- دون فرق بين النصوص . سياقان (قرينتان)، داخليٌ و خارجيٌّ أو بعبارة أخرى في الكلام قرينتان تدلّان على المراد : القرينة المتصلة و القرينة المنفصلة، و هما من أهمّ لوازم من يعمد إلى شرح كلام أدبي ليشرحه حسبما يتطلبه جو صدوره و تقتضيه حال خطابه و إيراده، فالسياق الداخلي (القرينة المتصلة) تعود أهميته إلى اللفظ نفسه و ما بين الألفاظ المهتمّ بها في الشرح من العلاقة و ما تقتضيه الألفاظ المفردة في التركيب مما يبعث على خضوع لفظة خاصة لمعنىً معين دون غيره من المعاني المحتملة فيها و عسى ألاّ نكون مبطلين في الحديث إذا قلنا: من شأن بعض آلات الفهم و مؤثراته أن تلعب دوراً هامّاً في تشكيل السياق الداخلي بل و هي التي تُعتَبر القرينة المتصلة نحو البلاغة و التأثير

Archive of SID
www.SID.ir

الكلامي و كل ما تستقى منه خواطر ذهن الشارح في بيان المعنى المراد في ألفاظ الكلام[1] إلى جانب ما ذكرنا من ترابط الألفاظ المفردة بعضها ببعض و هو الأهمّ في السياق الداخلي و الأجدر بأن نعزو السياقَ الداخلي إليه.

و أما السياق الخارجي (القرينة المنفصلة) فالمنويّ منه شأنُ صدور كلام الخطيب و الأديب و «لم يعتن شرّاح النهج بشأن إيراد الخطب و الرسائل إلا ابن أبي الحديد في شرحه القيم الذي وجدناه حريصاً كل الحرص في رصد وقائع كل خطبة و كلمة قالها أمير المؤمنين (عليه السلام) اعتقاداً منه بأنّ ذكر شأن إيراد الخطبة له مدخلية في فهم الخطبة و استيعاب مضامينها وأبعادها، لأنه يجعلنا في الجو العام الذي ألقى فيه الإمام خطابه.» (الموسوي، ١٤٢٣: ص ٢٧١)

وفيما يلي بعض ما يؤخذ على الشرح اللغوي لابن ابي الحديد على أساس عدم اعتنائه بالسياق في فهم المفردة رغم أن من أهم مناهجه اللغوية في شرح النهج هو الاهتمام بتأثير السياق في معنى الألفاظ كما تقدم[2]:

١- قال ابن أبي الحديد المدائني في شرح قول الإمام (عليه السلام) عندما يصف الذين جاهدوا في الله في ميادين القتال: «أين القوم الذين دُعُوا إلى الإسلام فقبلوه و... بعض هلك وبعض نجا، لا يَبَشَّرون بالأحياء ولا يعَزَّون بالموتى...» من الخطبة ١٢٠ الجهادية، عند تفسير "لايبشَّرون" و"لايعَزَّون" ما ينمّ عن عدم اكتراثه بالسياق إذ فسّرهما بما لفظه: «فإذا ولد لأحدهم مولود لم يبشَّر به وإذا مات له ميت لم يعزّ عنه» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج ٧: ص ٢٢٩)

أوَ ليس لقائل أن يقول راداً على هذا التفسير قبال كلامٍ عميق، هو كلام أميرالمؤمنين (عليه السلام): ألم يكن في الإسلام وبين المسلمين آنذاك . وإن كانوا زاهدين في الدنيا أشد الزهد . تبشرة بالمولود وتعزية عن الميت كما زعم الشارح، أوَ لم يرد في تعاليم الإسلام السماوية ما يحثّ الناس على هذين الفعلين وهل الشارح المعتزلي حصر الإسلام في نطاق ضيق وهل الزهد الذي عناه الإمام في كلماته وتصرفاته هو الذي يعرّفه شرح ابن أبي الحديد لهذا الكلام؟! فلئن كان المعنى اللغوي للفظين هذين واضحاً فأخطأ العالم المدائني في شرحهما وتطبيق المعنى على ما تقتضيه الحال ويدعو إليه السياق، والصواب أن يقول:

١. كما و بإمكان هذه العوامل المذكورة أعلاه أن تترك أثرها في السياق الخارجي.

٢. للتوسع في شواهد عن مدى تأثر ابن ابي الحديد بالسياق في شرح المفردات ينظر: مقالة "روش لغوي ابن ابي الحديد در شرح نهج البلاغه"، علي اكبر الفراتي، مجلة پژوهشهاى قرآن و حديث(مقالات وبررسيها)، جامعة طهران، كلية الالهيات و المعارف الاسلامية، السنة ٤٢، العدد ١، خريف وشتاء ١٣٨٨هـ ش، صص٩٥. ١٢٠.

Archive of SID

www.SID.ir

إنهم لشدة زهدهم في الدنيا وتجردهم عن العلائق الدنيوية لا يبشِّرون بعضهم بعضاً ببقائهم أحياء بعد الحرب والجهاد إذ فاتهم الاستشهاد في سبيل الله ولا يعزّون بعضهم آخر عن أقربائهم الذين قُتِلوا في سبيل الله وتبوّؤا جنته التي وعدها المتقون وهم يعتقدون أنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

٢- قال الشارح عند تبيين قوله (عليه السلام) في وصف إبليس: «لقد فوّق لكم سهم الوعيد» (نهج‌البلاغة، ١٤٠٧: خ٢٣٨) ما يلي:

«قوله: "وفوّقت السهم" جعلت له فوقاً وهو موضع الوَتَر وهذا كناية عن الاستعداد ولا يجوز أن يفسّر قوله: "فقد فوّق لكم سهم الوعيد" بأنه وضع الفوق في الوتر ليرمي به، لأن ذلك لايقال فيه: قد فوّق بل يقال: أفقت السهم وأوفقته أيضاً ولا يقال: أفوقته، وهو من النوادر.» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج ١٣: ص ١٠٦)

وزلة لغوية بدت لنا في شرح ابن أبي الحديد لهذه العبارة ترجع إلى أن الشارح لم يمعن النظر في سياق الكلام إمعانه في صياغة المفردات، فيما أن الشارح ابن ميثم البحراني (م ٦٧٩) قد أصاب في تفسير الكلام إذ ذكر في المعنى اللغوي لكلمة "فوّق السهم" ما قاله الشارح المدائني نفسه، (ابن ميثم البحراني، ١٤٢٠، ج٤: ص٢٢٤) على أنه أضاف ما لفظه: «استعار لفظ السهم لوساوسه وتزييناته في الوعيد الحكيّ عنه بقوله تعالى: ﴿لأزينّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين﴾ ووجه الاستعارة كونه يرمي بتلك الوساوس وجوه نفوسهم فيكون سبباً لهلاكها في الآخرة كما يكون السهم سبباً للقتل ورشّح بذكر التفويق والإغراق والنزع والرمي» *(المصدر نفسه: ص ٢٢٩)*

و بهذا فقد أثبت الشارح الشيعي في شرحه ما أنكره ورفضه الشارح المعتزلي وإننا لما تتبعنا في طائفة من كتب اللغة نحو أساس البلاغة والعين ومجمل اللغة والمصباح المنير و القاموس المحيط ولسان العرب وغيرها لم نعثر على شيء يرشدنا إلى أن غفلة ابن أبي الحديد عن المعنى اللغوي بل بدا لنا أن استعمال صيغة التفعيل يختص بجعل الفوق للسهم وليس يعني وضع الفوق في الوتر للرمي والرأي الغالب في لغته هو الذي أخذه ابن أبي الحديد ولكنه اكتفى بالصياغة ولم ينظر في السياق والقرائن ولذا قال في المعنى: هذا كناية عن الاستعداد، حالما أن الإمام أردف هذه العبارة قائلاً: "وأغرق لكم بالنزع الشديد و رماكم من مكان قريب" والسياق والإغراق في النزع والرمي من القرائن التي تشير إلى أنه (ع) أراد بالتفويق جعل الفوق للسهم ثم وضعه في الوتر للرمي ليصحّ قوله (ع) في الإغراق والنزع والرمي، إذ إن العبارات تأخذ بعضها برقاب بعض وتتواصل حتى تتكامل.

٣- إن العلامة التستري بعد تبيانه معنى قول الإمام (عليه السلام): «فإن لنا مع كل أمر تنكرونه غِيراً» (نهج لبلاغه: ص ١٧٤) اعترض على رأي ابن أبي الحديد في لفظة «غيراً» وبين غلطه بقوله:

Archive of SID
www.SID.ir

«و أخطأ ابن أبي الحديد فتوهم أنّ غيراً من غير، كما أخطأ في بيان المراد من الفقرة فقال: "معناها أنّ عندنا تغييراً لكلّ ما تنكرونه من الأمور الّتي يثبت أنّه يجب إنكارها وتغييرها أيْ لست كعثمان أصرّ على ارتكاب ما أنهى عنه بل أغير كل ما ينكره المسلمون، ويقتضي الحال والشرع تغييره." (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج٩: ص٢٥٢). قلت: إنّ ما قاله ممّا يضحك الثكلى، فلم يستطع أحد من أعدائه حتّى مثل معاوية أن يدعي عليه أمراً منكراً في الشرع حتّى يقول ابن أبي الحديد: إنّه عليه السلام قال: "لست كعثمان أصرّ على ارتكاب ما نهي عنه، بل أغير كل ما ينكره المسلمون"، وإنّما أنكر المغرضون عليه أموراً معروفة. فأنكر معاوية عليه إيواءه قتلة عثمان كعمار، ومحمّد بن أبي‌بكر، وعمرو بن الحمق ونظرائهم، وأنكر ابن عمر وسعد ومحمّد بن مسلمة عليه قتاله مع أهل الجمل وصفّين بشبهة لفّقوها، وأنكر الخوارج عليه عليه السلام تحكيم القرآن. ولو كان عليه السلام أراد المعنى الّذي ذكر، لقال: "فعليّ في كل أمر منكر تغييره"، لا "أنّ لنا مع كل أمر تنكرونه غيرا" وبالجملة ما قاله في غاية السقوط.» (التستري، ١٤١٨، ج٤: ص٥٦٩ و٥٦٨)

٢-٣. الآراء الكلامية والعقائد المذهبية

١- و من هفوات ابن أبي الحديد اللغوية قوله في شرحه قول الإمام (عليه السلام): «بقيةٌ من بقا حجته، خليفة من خلائف الأنبياء» (نهج‌البلاغة، ١٤٠٧: ص ١٨٣)، وإنه قال شيئاً يدل على تأثير الكلام والعقائد المذهبية في شرحه للمفردات وأما قوله فهو «فإن قلت: أليس للفظ "الحجة" ولفظ "الخليفة" مشعراً بما تقوله الإمامية؟ قلت: لا، فإن أهل التصوف يسمّون صاحبهم حجة وخليفة وكذلك الفلاسفة وأصحابنا لا يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين في كل عصر، لأنهم حجج الله أيْ إجماعهم حجة وقد استخلفهم الله في أرضه ليحكموا بحكمه.» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١٠: ص ٧٩)

أما اعتراضنا على قوله المذكور في إطلاق الحجة والخليفة في هذا السياق على كل العلماء المؤمنين في كل عصره فينحصر في أمرين:

أ) كأن الشارح لم ينظر في الخطبة بوجه الدقة وخاصة هذه الفقرة من كلام الإمام واعتبرها ذات تفاسير متعددة من قبل كل حزب وطائفة على فكرهم وعقيدتهم ومذهبهم من الإمامية والصوفية والفلاسفة والمعتزلة وغيرهم ولعله لو نظر في العبارة بعين بعيدة عن العصبية المذهبية والكلامية و التفت إلى السياق لما اضطُرَّ إلى مثل هذه التبريرات الواهية بشأن لفظة الحجة.

ب) من الظاهر أن ابن أبي الحديد قد تناسى ما قاله نفسه في الصفحة السابقة في هذا الأمر المختلف فيه أنه «ليس يبعد عندي أن يريد به القائم من آل محمد (صلى الله عليه وآله) في آخر الوقت» (*المصدر*

Archive of SID
www.SID.ir

نفسه، ج١٠: ص ٧٨) فكيف قد عرج عن قوله الواضح هذا إلى مقولته تلك وهذا نقض فاضح لذاك وقوله يغنينا عن الإسهاب في أن الإمام أراد هنا بالحجة والخليفة الإمام الحجة الذي ينتظره العالم كما يظهر من السياق.

٢- مما يؤخذ على ابن أبي الحديد أخذاً شديداً أنه تأثر في شرح المفردات بما يعتقده، وهذا الأمر لو لم يسُقه إلى تبرير الأغلاط الواضحة والفلتات الفادحة التي لا تقبل أيّ تبرير وتصحيح، لما كان جديراً بالمؤاخذة، إلا أنه قام في بعض الأحوال بتبريرات سخيفة في أمور جلية لا يتطرق إليها شك، منها أنه قال مترجماً لعمر بن الخطاب تحت فصل "طرف من أخبار عمر": «كان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة يحسبه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد ويتوهم من تُحكى له أنه قصد بها ظاهراً ما لم يقصده» (*المصدر نفسه*، ج١: ص١٧٩) ثم ساق حديثه بعد هذه التوطئة الظريفة إلى أن قال: «فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1] ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها! ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة عزيزته ولم يتحفظ منها وكان الأحسن أن يقول "مغمور" أو "مغلوب بالمرض" وحاشاه أن يعني بها غير ذلك!» (*المصدر نفسه*) وبعدما فزع من الظاهر إلى التأويل المذكور التجأ إلى فن من فنون البيان كي يخرجه تماماً عن الإهانة والتشويه ويدخله إلى طرائف حِكَم الخليفة الثاني!؟! وقال: «ولجفاة الأعراب من هذا الفن كثير، سمع سليمان بن عبدالملك أعرابياً يقول في سنة قحط:

رب العباد ما لنا و ما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا!

أنزل علينا القطر لا أبا لكا

فقال سليمان: أشهد أنه لا أب له ولا صاحبة ولا ولد فأخرج أحسن مخرج.» (*المصدر نفسه: ص١٨٠*)، وللناظر إلى هذه العبارات الصادرة عن الشارح أن يتساءل ويقول:

أ) ألم يكن عمر يعرف القبيل من الدبير حتى لا يميز لفظة "يهجر" من لفظة "مغمور"؟ وهو من الفصحاء، على حد تعبير الشارح نفسه كما وقد ذكر له حكماً وغرائب![2]

ب) لم يفهم السامع من قول الأعرابي الجافي معنىً سوءاً، لأنه أصاب الحقيقة بقوله "لا أبا لكا" فليس لأحد أن يعترض عليه حقَّ ما قال، بل المؤاخذة عليه ترجع إلى أنه استخدم لفظاً غير خليق بأن يخاطب

١. المراد من هذه الكلمة قول عمر في رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مرض انتقل بسببه إلى الرفيق الأعلى: «إن الرجل ليهجر».

٢. لمزيد الاطلاع ينظر: شرح نهج البلاغة، ج١٢.

Archive of SID
www.SID.ir

به الله سبحانه، فيما أن عمر لم يقل حقاً في لفظ جافٍ غليظ وإنما قياسه قياس مع الفارق في هذا الموضوع وهل يمكن للشارح أن يقول: أشهد أنه (صلى الله عليه وآله) ـ معاذ الله ـ هجر وهذى من شدة المرض وغلبته عليه فأخرج عمر أحسن مخرج؟!

ج) هل لنا أن ننزّل منزلة عمر حتى يستوي هو وأعرابيٌ غير مسلم، فالشارح أصبح بتبريره هذا مصداقاً لقولهم: الغريق يتشبث بكل حشيش.

٣- في شرح قوله (عليه السلام): «و نشر الرياح برحمته» (نهج‌البلاغة، ١٤٠٧: خ ١) قال ابن أبي الحديد ما يرتبط بأن الإمام اقتبس قوله هذا من قوله تعالى ﴿يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته...﴾ (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١: ص ٨٤) ولم يشر إلى طريفة هناك في لفظة "الرياح" بصيغة "الجمع"، أما الراغب الاصفهاني فقد أورد المعنى الأصلي للريح ثم انتقل إلى معناها القرآني وقال ما استفاده من سياق الآيات واجتهد منها واستخرج فرقاً بين اللفظين "الريح" و"الرياح" وقال: «و عامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة» (الراغب الاصفهاني، ١٤٢٧: ص٣٧٠ و٣٦٩) واستشهد بالآيات القرآنية إثباتاً لقوله وهو أول من أشار إلى هذه الطريفة اللطيفة في هذه اللفظة القرآنية و خَفِيَ على ابن أبي الحديد وسياق تعبير الإمام أيضاً يشعر بهذا الأمر إذ أعقب قوله "نشر الرياح" بقوله "برحمته" فضلاً عن أن كلامه كله في الخلق والثناء على الله سبحانه لتفضله على عباده ورحمته لخلقه، وهذا من لطائف كلامه العميق وابن أبي الحديد لم يؤدِّ حقه كما يليق به.

٢-٤. القواعد الصرفية والنحوية

١- مما رأيناه جديراً بالتذكير هنا ما اعترى الشارح في شرح قول الإمام (عليه السلام): «و انتقل إلى منتقله » (نهج‌البلاغة، ١٤٠٧: خ٢)، إذ قال مفسّراً إياه «ففيه مضاف محذوف، تقديره "إلى موضع منتقله" والمنتقلَ بفتح القاف، مصدر بمعنى الانتقال، كقولك: "لي في هذا الأمر مضطَرَب أيْ اضطراب"...» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج١: ص١٤٥) وأما قولنا فيه فيرجع إلى تقدير مضاف محذوف للعبارة ويتلخص فيما يلي أولاً: من المجمع عليه أن الأفضل عدم التقدير مهما أمكن إلا إذا كانت ضرورة بلاغية تقتضي، كالإيجاز ونحوه، حيث لا نستطيع أن نعدّ الكلام صحيحاً إلا على التقدير، ثانياً: مما لا يكاد يختلف فيه اثنان أن وزن اسم المفعول مشترك بين اسم المكان والزمان والمصدر الميمي. فالمنتقل على وزن "المفتعَل" وينبغي أن نتخذه اسم مكان بدلاً من أن نجعل العبارة الواضحة تلك تقديراً هو الموضع، ولو كانت الجملة على صدد بيان مفعول مطلق مؤكد للفعل "انتقل"، لكان علينا أن نأخذ المنتقل مصدراً ميمياً

Archive of SID
www.SID.ir

ينوب عن المصدر وهو الانتقال.

وقد أخذ على ابن أبي الحديد هذا الخطأ أيضاً الدكتور مصطفى جواد، بما لفظه: « قال ابن أبي الحديد:وأما قوله(ع):" وانتقل إلى منتقله"، فيه مضاف محذوف تقديره: إلى موضع منتقله وأخذ المنتقل بفتح القاف مصدراً بمعنى الانتقال واستشهد بقول العرب وشعره ثم تطرق إليه الناقد المعاصر وانتقده بقوله: «قلت: ليس في الكلام مضاف محذوف أبداً» لأن "المنتقل" إن لم يكن اسم مكان سماعياً فهو قياسي لا محالة والغريب أنه نقض قوله بقوله من دون أن يشعر فقد قال في الصفحة ٦٦[1] من ذلك المجلد " والمعتلف موضع العلف" فإذا جاز له أن يجعل "المعتلف موضع العلف"، فلم منع نفسه أن يجعل المنتقل موضع الانتقال؟ هذا من غريب التناقض.» (جواد افندي، ١٩٩٨: ص ٣٨٥)

٢- و ردّ العلامة التستري أيضا على رأي ابن أبي الحديد في لفظة "شال" من قوله (عليه السلام): "و استراح قوم إلى الفتن وأشالوا (اشتالوا)" حيث قال المعتزلي: "يقال شال فلان كذا أيْ: رفعه، واشتال افتعل هو في نفسه"

فاعترض عليه التستري بقوله: «قلت: بل شال لازم قال ابن دريد «شال هو إذا ارتفع، و أشلته أنا إذا رفعته» ويقال شال الميزان إذا ارتفعت احدى كفّتيه، وشال ذنبها إذا ارتفع، وقال الراجز:

تـــأبّري يـــا خيـــرة الفســـيل تـــأبَّري مـــن حنـــذ فشـــولي

وقال الأخطل في جرير:

وإذا وضـــعت أبـــاك في ميـــزانهم رجحـوا وشـال أبـوك في الميـزان"... الخ

(التستري، ١٤١٨، ج ٦: ص٢٢١)

٢-٥. الفروق اللغوية

١- من الأمور التي ينجلي خطأها بعد النظر في بعض المصادر، قول ابن أبي الحديد، وعلى حد تعبيره قول كثير من الأدباء والمتكلمين في معنى كلمة «الحمد» وما بينها وبين كلمتي "المدح" و"الشكر" من الفرق فإنه لم يذكر أيّ بون يستبان به معنى خاص لأيّ من هذه الألفاظ الثلاثة وأما قول ابن أبي الحديد فيلي لفظه: «الذي أكثر الأدباء والمتكلمين أن الحمد والمدح أخوان، لا فرق بينهما،...» (ابن ابي الحديد،

١. رقم الصفحة المذكورة في نص الدكتور إنما ذكرناه أداءاً للأمانة ورقم الصفحة على مطبوع اعتمدناه هو: ج ١، ص ١٩١.

Archive of SID
www.SID.ir

١٤٢٦، ج ١: ص ١٤٥) وأسند قوله ببعض أقوال العرب وانتقد آراء غيره ممن يقول بوجود الفرق بين هذه الألفاظ، ولكن الذي يبدو أن الحكماء والعرفاء قد فرّقوا بين الحمد والمدح والشكر بلطائف صوفية سامية، منهم الخوئي (ره) في شرحه للنهج "منهاج البراعة"، الذي قد نقل كلام الشارح ابن أبي الحديد وتعرض له بالنقد، ومنهم العلامة الراغب الأصفهاني في بيان معنى "الحمد" والفرق بينه وبين "المدح" و"الشكر"، إذ قال ما لفظه:

«الحمدُ لله تعالى: الثناء عليه بالفضيلة، وهو أخصّ من المدح وأعمّ من الشكر، فإنَّ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يمدَح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمدُ يكون في الثاني دون الأول، والشُّكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكلُّ شكرٍ حمدٌ، وليس كل حَمْدٍ شكراً، وكل حَمْدٍ مدحٌ وليس كل مَدْحٍ حمداً، ويقال: فلانٌ محمد: إذا حُمِد، ومُحَمَّد: إذا كثرت خصاله المحمودة، ومُحْمَدٌ: إذا وجد محموداً، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إنَّه حَميدٌ مَجيدٌ﴾ (هود: ٧٣)، يصحُّ أن يكون في معنى المحمود، وأن يكون في معنى الحامد، وحُمَادَاك أنْ تفعل كذا، أي: غايتُكَ المحمودة، وقوله عزَّ وجل: ﴿و مُبَشِّراً بِرسولٍ يأتي من بَعدِي اسمُه أَحمدُ﴾ (الصف: ٦)، فأحمد إشارةٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله باسمِه وفعله، تنبيهاً أنه كما أُحشد اسمه أحمد يوجد وهو محمودٌ في أخلاقه وأحواله، وخصَّ لفظة أحمد فيما بشَّرَ به عيسى عليه السلام تنبيهاً أنه أحمدُ منه ومن الذين قبله، وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسولُ الله﴾ (الفتح: ٢٩)، فَمحمدٌ ههنا . وإنْ كان من وجهٍ اسماً له علماً؛ ففيه إشارة إلى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه كما مضى ذلك في قوله تعالى: ﴿إنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسمُه يحيى﴾ (مريم: ٧)، أنه على معنى الحياة كما بُين في بابه إن شاء الله.» (الراغب الاصفهاني، ١٤٢٧: ص٢٥٦)

٢- ومن تخطئة العلامة التستري للمدائني ما يتعلق بشرحه للفظة «العاني» من كلام الإمام (عليه السلام): «وليفكّ به الأسير والعاني»(نهج‌البلاغة، ١٤٠٧: خ١٤٢) فبعد ما قال في تفسيره: «أي المحبوس» واستند إلى قول الجوهري وابن دريد والقرآن التفت إلى رأي الشارح المعتزلي تفنيداً له وقال:

«وقول ابن أبي الحديد: « العاني الأسير بعينه وإنّما اختلف اللفظ» (ابن ابي الحديد، ١٤٢٦، ج٩: ص٥٩) غلط، فالعاني أعمّ والأصل فيه الذليل، فيراد منه المحبوس كما يراد منه الأسير، ويمكن أن يراد بفكّ العاني فكّ رقبة تحت الشدّة والذّلّة عند مولاه، وهو أحد مصارف الزّكاة الثمانية، وعبر عنه الكتاب بلفظ ﴿و في الرّقاب﴾.» (التستري، ١٤١٨، ج ٦: ص ٥٠٦)[1]

١. للعلامة المدائني رأي علمي في هذا المجال هو أنه قد تبنى وجود المرادفات اللغوية في القرآن الكريم وبالتالي قبله كقاعدة للخطابة لدى العرب وفسّر النهج على اعتقاده هذا مما بيّنه كاتب المقالة في ورقة نشرتها مجلة "علوم حديث"، العدد٤٩ ←

Archive of SID
www.SID.ir

الخاتمة والاستنتاج

من خلال ما تقدّم تبيّن لنا أن لابن أبي الحديد المعتزلي بعض الهفوات والأخطاء في شرحه لنهج‌البلاغة وللعلماء اللغويين والناقدين مواقف نقدية إزاء تفسير الشارح للمفردات، فبعض الأخطاء ترجع إلى الخطأ في فهمه اللغوي، و البعض منها مردّها عدم الالتفات إلى السياق والبعض راجع إلى تأثره بمذهبه وعقائده الكلامية مما دفعه إلى ألاّ يلازم الطريق الوسطى في الشرح وهي الإنصاف والأمانة ويصرف إلى تبرير فلتات بعض الصحابة وتأييد عقائد أصحابه المعتزلة أو تفنيد آراء الشيعة الإمامية حيث سبق ذكر قسم منها في هذه المقالة، وهناك أخطاء قد نجمت عن الخطأ في تطبيق القواعد النحوية والصرفية، ومنها ما انبثق من فهم الفروق في اللغة، ومما يجدر ذكره حاجة مثل هذه الكتب الكبيرة عند الشيعة إلى دراسات أعمق وتناولها بالنقد والتمحيص و بيان مكانتها وإخراجها في الوقت نفسه من سجن ذهبي من القدسية والصحة المطلقة و التامّة.

المصادر و المراجع

*- القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد، عزالدين عبدالحميد بن هبة الله، (١٤٢٦)، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبوالفضل ابراهيم، ط١، بغداد، دارالكتاب العربي.

٢. ابن خلكان، أحمد بن محمد، (١٣٩٧)، **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دارصادر.

٣. ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل، (١٤٢٢)، **البداية والنهاية**، الطبعة السادسة، بيروت، دارالمعرفة.

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٤٢٦)، **لسان العرب**، ط١، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٥. ابن ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي، (١٤٢٠)، **شرح نهج البلاغة**، ط١، بيروت، دارالثقلين.

٦. البغدادي عبدالقادر بن عمر، (١٤١٨)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: محمد نبيل طريفي، بإشراف اميل بديع يعقوب، بيروت، دارالكتب العلمية.

٧. بشار ابن برد، (٢٠٠٧)، **الديوان**، جمع وتحقيق وشرح: محمد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة الجزائرية بمناسبة الجزائر.

و٥٠، صص٢٤٣-٢٦٣، تحت عنوان "جلوه هايي از آيين سخنوري در دستور سخن نهج البلاغه بر پايه شرح ابن ابى الحديد".

Archive of SID
www.SID.ir

٨. التستري، محمد تقي، (١٤١٨)، **بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة**، ط١، طهران، انتشارات اميركبير.

٩. جواد أفندي، مصطفى، (١٩٩٨)، **في التراث اللغوي**، حققه وقدم له محمد عبدالمطلب البكّاء، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

١٠. الجوهري، اسماعيل بن حماد، (١٤٠٤)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تصحيح: أحمد عبدالغفور عطار، ط٣، بيروت، دارالعلم للملايين.

١١. الحسيني الخطيب، السيد عبدالزهراء، (١٤٠٥)، **مصادر نهج البلاغة وأسانيده**، ط٣، بيروت، دارالأضواء.

١٢. الخليل بن أحمد؛ (١٤١٤)، **ترتيب كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، تصحيح د. أسعد الطيب، قم. ايران، منشورات أسوة.

١٣. الرازي، أحمدبن فارس، (١٤١٤)، **مجمل اللغة**، تحقيق:شهاب الدين أبو عمرو، بيروت، دارالفكر.

١٤. الراغب الأصفهاني، الحسين، (١٤٢٧)، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٢، قم، طليعة النور.

١٥. سزگين، فؤاد، (١٤١٢)، **تاريخ التراث العربي**، ط٢، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، مطبعة إسماعيليان، المجلد الثامن (علم اللغة).

١٦. فكرت، محمد آصف، (١٤١٦)، "ابن ابي الحديد"، **دائرة المعارف الإسلامية الكبرى**، باشراف كاظم الموسوي البجنوردي، ط١، إيران، مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ج ٢.

١٧. فؤاديان، محمد حسن وعلي اكبر الفراتي، (ربيع ١٣٨٧ ش)، "النقد اللغوي في شرح ابن ابي الحديد لنهج البلاغة"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية في جامعة طهران**، العدد ٥٩، صص٦٥. ٨٦.

١٨. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (١٤٢٥)، **القاموس المحيط**، بيروت، دارالفكر.

١٩. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (١٤٢٥)، **قاموس المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، ط١، بيروت، دارالفكر.

٢٠. الكتبي، محمد بن شاكر، (بدون تاريخ)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دارصادر.

٢١. الموسوي، محسن باقر، (١٤٢٣)، **المدخل إلى علوم نهج البلاغة**، ط١، بيروت، دار العلوم.

٢٢. **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ط١، إيران، قم المقدسة، مؤسسة دارالهجرة.

٢٣. يعقوب، إميل بديع، (١٤٢٧)، **موسوعة علوم اللغة العربية**، ط١، بيروت . لبنان، دارالكتب العلمية.

Archive of SID
www.SID.ir

آسیب‌شناسی جنبه‌های واژه‌شناسی در شرح نهج‌البلاغه ابن ابی‌الحدید

علی‌اکبر فراتی*

*- استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تهران

a.forati@ut.ac.ir

چکیده:

اگر در شرح نهج‌البلاغه‌ی ابن ابی‌الحدید از جنبه‌ی لغت‌شناسانه به‌دقت نگاه افکنیم، خواهیم دید که شارح، اساس خود را بر شرح لغوی استوار ساخته است.

و از آنجا که نقد منصفانه و سازنده، مایه‌ی حفظ زبان در مقابل خطا و لغزش‌هایی است که ممکن است در مسیر تحول آن همگام با زمان بدان رسد وچون ابن ابی‌الحدید نیز همچون دیگر دانشمندان و نویسندگان، امکان خطا در فهم لغوی دارد، به‌ویژه که وی در شرح مفردات، شیوه‌ای اجتهادی به‌کار گرفته و صرفاً به نقل صرف و تقلید اکتفا نکرده است،لذا نویسنده به بررسی شرح لغوی وی دست زده و برخی اشکالات را در این زمینه،یادآورشده است و به خطاهای لغوی شارح، اشاره کرده است که عمدتاً ناشی از بی‌توجهی به متن اللغه و سیاق و عقاید کلامی و فروق‌اللغه و قواعد صرف و نحو است، علاوه بر اینکه نویسنده کوشیده است در طول نقد خود، جایگاه شارح و تسلط وی بر فنون مختلف علمی را نادیده نگیرد.

کلیدواژه‌ها: ابن أبی‌الحدید، خطاهای واژه‌شناسی، شرح لغوی، نقد، نهج‌البلاغه.

Archive of SID

www.SID.ir

A Pathological Study of Ibn Abi al-Hadid's Lexical Commentary on Nahj al-Balaghah

Ali Akbar Forati*

*- Asistant Professor, University of Tehran

a.forati@ut.ac.ir

Abstract:
If we study Ibn Abi al-Hadid's commentary on Nahj al-Balaghah from the lexical point of view, we will find out the fact that he has based his commentary on lexical points.

Fair and constructive criticism avoids the language from falling into mistake and error. Ibn al-Hadid, like other scholars and authors, has the probability of misunderstanding of the vocabularies, especially because of his deductive method and that he has not only quoted from others. Therefore, the the present reasearch critically studies the lexical efforts of Ibn Abi al-Hadid, and indicates his mistakes, especially those caused by inattention to the exact meaning of words, the context, theological ideas, the different meanings of different words, and the grammar and syntax. At the same time, the researcher had not neglected the ability of Ibn Abi al-Hadid on different sciences.

Keywords: Nahj al-Balaghah, Ibn Abi al-Hadid, Lexical commentary, Criticism, Lexical mistakes.

Archive of SID

www.SID.ir